أدب وقيم الحوار في ضوء قصص وآيات القرآن الكريم

أ. الياس أبوبكر الباروني

د. لقمان طيب محمود

د. بحر الدين جئ فا

أكاديمية الدراسات الاسلامية –جامعة ملايا

الملخص

لاشك أن للحوار أهمية كبرى في المجتمع الإنساني، ذلك أن الحوار إنما يعني تفاعلا بين البشر في كافة أنماط العلاقات الإنسانية، ومن خلال تحليل آيات الحوار في القرآن الكريم، نجد أن هناك إهتماما كبيرا في الكثير من السور والآيات بالعديد من أنماط الحوار وكيفية طرحه وآليات البدء والإنتهاء والعديد من القضايا التي يتم طرحها والتفاعل معها من خلال حوار سواء بين الله سبحانه وتعالى من جانب والرسل والانبياء من جانب آخر أو بين الرسل وقومهم أو بين أشخاص تم ذكر قصصهم في كتاب الله تعالى.

المقدمة

إن الحوار من المصطلحات الهامة التي نتعايش فيها الآن، فالحوار من المصطلحات التي تتردد كثيرا وكثيرا في هذا الوقت، فهناك أفراد اختلفت وتباينت أفكارهم، وتنوعت أهدافهم ،فمنهم من اتبع الحق،ومنهم من اتبع الباطل، كل بحسب أفكارهم ، والعبرة هنا بمنهج الرجل وطريقته وسيرته العلمية،،

فالحوار: هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر بصوره متكافئة ويغلب عليها الهدوء والرغبة في الوصول إلي الحق والبعد عن التعصب، إذا فمفهوم الحوار: هو الحديث الذي يجري بين شخصين أو أكثر حول موضوع معين ويسمى أيضا بالجدال، وله آداب يجب مراعاتها منها: [1]

1- الالتزام في محاورة الغير باللطف والهدوء.

2- الإصغاء إلى المتكلم وعدم مقاطعته وعدم الاستهزاء منه أو محاولة الانتقاص من قدره،أو حقه.

3- عدم التعنيف في الكلام أو التجريح.

أيضا للحوارفوائد يجب مراعاتها :-

[1] خطاب، حامد قمر الدولة، أدب الحوار في السلام، 2013

1- فهو يساعد على التفاهم وبلوغ الهدف.

2- ويحافظ على العلاقات الطيبة بين البشر.

3- يبث النظام ويعلمنا تجنب الفوضى.

وأما التشاور: فهو يختلف عن التحاور، فهو طلب رأي الآخر أو تبادل الآراء ووجهات النظر حول أمر معين.

مشكلة الدراسة:

تسعى الورقة الحالية لتحليل آداب الحوار في ضوء القرآن الكريم من خلال التركيز على العديد من الحالات التي ورد ذكرها ومحاولة استنباط الرؤى والخلاصات التي قدمتها تلك الحوارات في القرآن الكريم.

وترتيبا على ما سبق يمكن طرح اشكالية الدراسة الحالية على هيئة تساؤل رئيس وهو:

ما هى آداب وقيم الحوار في ضوء آيات وقصص القرآن الكريم؟

أهمية الدراسة :

حثنا الخالق سبحانه على اعتماد هذا الأسلوب، للعثور على حلول ناجحة للقضايا المختلف حولها أو التوصل إلى تلاؤم في الخلافات المطروحة،و كذلك لما لها من أثر إيجابي في وحدة المجتمع وتماسكه، إذ بواسطتها يتمكن كل فرد منه من الاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم، و يمتنع عن التعصب والاستبداد بالرأي[1].

وتنبع أهمية الموضوع في أن للحوار أهميه قصوى للشباب وللإسلام والمسلمين فهو وسيلة للمسلم يسعي من خلالها نشر الدين،وحيث إن الحوار يدخل دخولا أصليا تحت منهج الدعوة ، وحيث إن له أصول وضوابط وآداب تدخل ضمن منهج السلوك والأخلاق .

المبحث الأول

مفهوم الحوار في اللغة والإصطلاح

كلمة الحوار كلمة جميلة رقيقة، تدل على التفاهم والتفاوض والتجانس، وإذا رجعنا إلى كتب اللغة العربية ومعاجمها فإننا نجد فيها مصطلحات تتفق في جانب من مفاهيمها ومعانيها مع مصطلح الحوار، وإذا أردنا أن نقف على مفهوم الحوار فإن ذلك يتطلب الوقوف على مفاهيم تلك المصطلحات التي لها علاقة وثيقة به وهي الجدل، والمناظرة، لأن هناك تداخلاً كبيراً في مستوى الدلالة بين هذه المصطلحات الثلاثة (الجدل – المناظرة – الحوار) وسنحاول هنا الوقوف على مفهوم كل مصطلح على حده لنرى أوجه الاتفاق والاختلاف بينها[2].

---

[1] خطاب، حامد قمر الدولة، أدب الحوار في السلام، مرجع سابق، ص.4

[2] رحماني، اسحق، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، 2015،ص.4

أولا: مفهوم الجدل:

جاء في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس: جدَلَ الجيم والدّال واللاّم أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام**2** وجدل يَجدِلُ: اشتدّت خصومته[1].

أما في الاصطلاح: فقد عرفه الأصفهاني بقوله: ''هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالة وهي الأرض الصلبة[2].

ثانيا: المناظرة

المناظرة لغة من النظير، أو من النظر بالبصيرة، فهي من النظر تفيد الانتظار والتفكير في الشيء تقيسه وتقدره، ومن التناظر تفيد التقابل، ومن النظير تفيد التماثل[3]. أما في الاصطلاح للمناظرة بمعناها الاصطلاحي يوجد فيها معنى التناظر الذي هو التقابل، سواء أكان بين الأشخاص في المجلس الواحد، أو بين الأدلة والحجج[4].

والمناظرة في الواقع وإن كان أساسها من النظر فإنها تطوّرت لتعني التناظر المشحون بروح التحدي، فكل واحد من الطرفين يعتبر نفسه عند المناظرة نظيراً للآخر أو نداً وقادراً على أن يتحداه.

ثالثا: الحوار في اللغة:

اشتقاق لفظ ''الحوار'' في اللغة من مادة ''ح و ر'' التي تحمل من الدلالات الكثير، وذكر علماء اللغة أنّ له معاني متعددة تبعاً لتفعيلاتها الصرفية، فقد جاء في صحاح الجوهري، ما يلي: ''المحاورة المجاوبة. والتحاور: التجاوب. ويقال: كلمته فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا، ولا حويرة، ولا محورة، ولا حِوارا. (بفتح الحاء وكسرها). أي ما رد جوابا''[5].

وورد في تاج العروس: ''الحوير كأمير والحوار بالفتح، ويكسر... كلمته فما رجع إلي حِوارا، وحَوارا، ومحاورة وحويرا، ومحورة. وإنه لضعيف الحوار، أي المحورة[6].

وفي لسان العرب: أن الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإِلى الشيء، يقال حارَ إِلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً رجع عنه وإِليه. وكل شيء تغير من حال إِلى حال، فقد حارَ يَحُور حَوْراً، قال لبيد:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، (1998م)، مؤسسة الرسالة – بيروت، مادة: جدل.

[2] الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد، المفردات في غريب القرآن، (1997م)، مكتبة نزار مصطفى الباز. ص117

[3] الجرجاني، التعريفات، (2000م)، دار الكتب العلمية، لبنان، ج/1، ص76

[4] حسن، عثمان علي،، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد (1420هـ)، دار إشبيليا، الرياض. ص30

[5] الجوهري الصحاح، (1979م)، دار العلم للملايين، بيروت.

[6] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (1982م)، دار الرشيد، بغداد

وما المَرْءُ إلاَّ كالشِّهابِ وضَوْئِهِ يَحُورُ رَماداً بعد إِذْ هو ساطِعُ.[1] وأشار ابن فارس بأنه: ''وكلمته فما رجع إلي حَوارا ومحوارة.[2]

ويتضح من خلال ما تقدم أن كلمة الحوار تدور حول المعاني الآتية:

1– الرجوع إلى الشيء وعن الشيء، والمتحاورون قد يرجع أحدهم إلى رأي الآخر أو قوله أو فكره رغبة في الوصول إلى الصواب والحقيقة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾الانشقاق:14 أي لن يرجع مبعوثاً يوم القيامة.

2– التحول من حال إلى حال، فالمحاور يتنقل في حواره من حالة إلى أخرى، فمرة يكون مستفسراً، وأخرى يكون مبرهناً، وثالثة يكون مفنداً، وهكذا.[3]

3– الإجابة والرد، وهو قريب من المعنى الاصطلاحي للحوار؛ لأن كلاً من طرفي التحاور يهتم بالإجابة عن أسئلة صاحبه، ويقدم مجموعة من الردود على أدلته وبراهينه

4– الاستنطاق ومراجعة الحديث، فكل واحد من المتحاورين يستنطق صاحبه ويراجع الحديث معه لغرض الوصول إلى هدفه وقصده.

5– النقاء والتخلص من العيوب، والواقع أن طبيعة الحوار والمناقشة تؤدي بالنتيجة إلى التخلص من العيوب الفكرية، من خلال طرح الأفكار المتعددة واختيار الراجح منها.[4]

وفي القرآن الكريم لم يرد لفظ الحوار، وإنما ورد الفعل ''حاور'' والمصدر ''التحاور'' ثلاث مرات، وذلك في الآيات الكريمات:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾.الكهف:34

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾.الكهف:36.

وقوله تعالى: ﴿قدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى الله وَالله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.المجادلة:1

أما كلمة ''الحوار'' فهي أوسع مدلولاً من كلمة الجدل، باعتبار تضمُّن الجدل معنى الصراع، بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره، مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب.[5]

رابعا: الحوار في الاصطلاح:

---

[1] لسان العرب ابن منظور

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (1969م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

[3] رحماني، اسحق، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص. 6

[4] الهيتي، عبدالستار ابراهيم (2004م)، كتاب الأمة ''الحوار الذات والآخر'' دار الكتب القطرية، قطر، ص99.

[5] فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن: قواعده – أساليبه– معطياته (2001م)، دار الملاك، بيروت.، ص52

يمكن أن نحدد المعنى الاصطلاحي للحوار بأنه: ''نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.[1]. وقيل: هو مناقشة بين شخصين أو مجموعتين –أو أشخاص أو مجموعات– بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي.[2]

ونرى بأنّ الحوار أسلوب يجري بين جهتين، يسوق كلٌ منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الآخر في منطقه وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره.

ومما لا شك فيه فإن كل واحد من المتحاورين في الحوار لا يقتصر على عرض الأفكار القديمة التي يؤمن بها وإنما يقوم بتوليد الأفكار في ذهنه، ويعتمد إلى توضيح المعاني المتولدة من خلال عرض الفكرة و تأطيرها وتقديمها بأسلوب علمي مقنع للآخر، بحيث يظل العقل واعياً طوال فترة المحاورة ليستطيع إصدار الحكم عليها، سلباً أو إيجاباً[3].

وبعد هذا العرض لمدلولات المصطلحات المتداخلة ''الجدل –والمناظرة– والحوار'' يتضح أن الحوار وإن كان مناوبة الحديث بين طرفين إلا أنه لا يشتمل على الخصومة والمنازعة والمراء كما هو الجدل، وإنما هو أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة في حقل من حقول العلم والمعرفة أو جانب من جوانب الفكر والعقيدة، للوصول إلى حقيقة معينة بهذا الشكل من أشكال الأسلوب والمحادثة، وهو عملية تتضمن ''عرضاً'' من جهة، يتمثله ''الآخر'' ويجيب عليه فيحدث ''تجاوب'' يولّد عند كل منهما ''مراجعة'' لما عرضه ''الآخر''، وهذه العملية هي التي يطلق عليها الحوار أو المحاورة.

المبحث الثاني

قيم الحوار في القرآن الكريم

من الأصول التي يضعها القران الكريم للحوار مع الآخر التزام المحاور المسلم بالأخلاق الحسنة خلال الحوار نذكر بعضها بإيجاز:

أولا: المحاورة بالحسنى

[1] ديماس، محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، (1999م)، دار ابن حزم، الرياض، ص11

[2] ابن حميد، صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، (1999م)، دار الأندلس الخضراء، جدّة، ص212

[3] رحماني، اسحق، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص.8

من أهم وأبرز أخلاقيات الحوار حسب ما جاء في القران الكريم التزام المحاور المسلم بأصل الحوار بالحسنى والابتعاد عن الغلظة والقسوة والعنف أثناء المناقشات[1].

قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} سورة النمل : **125**.والحوار الهادئ يفتح القلوب للحق والإذعان له ويجعل الكلام يؤثر في النفس, بينما القسوة والغلظة تجلب النفور وتؤدي إلى ابتعاد الناس عن صاحب الدعوة والمحاور، ولذلك وصف الله تعالى رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام بأنه بعيد كل البعد عن القسوة والغلظة فقال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} سورة آل عمران:**159**

وهذه الآية الكريمة تكشف عن مفتاح مهم من مفاتيح نجاح دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيطرتها على النفوس والقلوب، وفي سيرته عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لكل داع ومحاور في الالتزام بالحسنى خلال الحوار وتجنب كل أنواع الغلظة والمواقف العنيفة.

وفي آية أخرى أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بمحاورة أهل الكتاب بالحسنى فقال جل وعلا: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} سورة العنكبوت:**46**

ثانيا: الصبر والحلم:

من أخلاقيات الحوار أن يتسم المحاور المسلم بالصبر والحلم والابتعاد عن الغضب وأن لا يستفز مهما كان الموقف. قال تعالى آمرا نبيه عليه الصلاة السلام بالعفو عن الناس وترك الغلظة عليهم: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} سورة الأعراف:**199**. ولاشك أن العفو أعلى درجة من كظم الغيظ ورد الغضب لأن العفو هو ترك المؤاخذة وطهارة القلب والتسامح مع المسيء ومغفرة خطيئته.

ثالثا: الرحمة والشفقة:

من أدب الحوار وأخلاقياته في القرآن الكريم أن المحاور المسلم يجب أن يكون حريصا على ظهور الحق وشفيقا على من يحاوره لأنه يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم ولا يجوز له أن يجعل الحوار وسيلة للانتقام والكيد وفرصة للتنفيس عن الأحقاد ونشر العداوة والغلّ.

الشفقة والرحمة خير وسيلة يتخذها المحاور للنفوذ إلى عقل الطرف الآخر وقلبه، ولذلك قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} سورة آل عمران:**159**

وهذه الرحمة والشفقة على الآخرين كان من دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين من أتباعهم في التعامل والحوار مع المخالفين, فهذا مؤمن آل فرعون يصرح لقومه بالرحمة والشفقة والخوف عليهم في أكثر من موقف:

---

[1] وزين، فضل الهادي، أصول الحوار مع الآخر في القرآن الكريم.. دراسة موضوعية، اسلام اباد، الجامعة الإسلامية، 2009،ص.6

قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ} سورة غافر:30. كما قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ} سورة غافر:32. فالمحاور المسلم رفيق وشفيق على الطرف الآخر لأنه يريد الخير له ولمن وراءه وذلك من خلال بيان الحق والوصول إليه فهو حريص كل الحرص أن يتخذ كل وسيلة شرعية ونبيلة لتحقق هذا الغرض ومن هذه الوسائل الرحمة والرأفة والشفقة التي يجب عليه التحلي بها في جميع المواقف[1].

رابعا: مقابلة السيئة بالحسنة:

من أخلاقيات الحوار في القرآن الكريم كون المحاور المسلم يقابل الشدة بالرأفة, وفحش الكلام بطيبه، ويرد الكلمة الجارحة بالكلمة اللينة ويدفع الاحتقار بالاحترام. قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} سورة فصلت :34-35

فهذا أمر صريح من الله تعالى للداعية والمحاور المسلم بأن يكون في مستوى أرفع أثناء حواره مع الآخرين وذلك بالترفع عن الانتقام ومعاملة المثل بالمثل في فحش الكلام والشدة والاحتقار والسخرية ولاشك أن ذلك لا يتأتى إلا باتصاف المحاور المسلم بالصبر والحلم والبلوغ إلى درجات عليا من الخير والخلق الحسن.

خامسا: توخي العدل والإنصاف

الإسلام دين العدل وأكد على الالتزام بالعدل والإنصاف في المواقف كلها. قال الله عز وجل آمرا المؤمنين: {اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} سورة المائدة:8. وقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ الإِحْسَانِ} سورة النحل:90. ولا يجوز للمسلم أن ينحرف عن جادة العدل مهما كانت الظروف وعليه أن يراعي الإنصاف مع الصديق والخصم والمسلم والكافر على حد سواء. قال تعالى :{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} سورة المائدة:8.

سادسا: الحرص على طلب الحق

يجب أن لا ننسى أن القرآن لا يجيز الحوار إلا لبيان الحق, واقناع الآخرين به، واتمام الحجة عليهم وإذا كان الأمر هكذا فالحرص والتجرد لطلب الحق بعيدا عن أي مؤثر آخر هو أصل أساس من أصول الحوار ويمكن للتحقيق هذا الأصل أن يفترض المحاور المسلم –ولو نظريا– احتمال ثبوت الحق على لسان الطرف الآخر. قال تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} سورة سبأ:24, ويجب اتباع الحق بصرف النظر عن الذي ينطق به ولا يجوز بأي حال من الأحوال الانحراف عنه أو رفضه, قال تعالى: {أَفَمَن

[1] وزين، فضل الهادي، أصول الحوار مع الآخر في القرآن الكريم.. دراسة موضوعية، مرجع سابق، ص.8

يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى} سورة يونس:35, ورفض الحق ليس إلا ضلالا وانحرافا بنص القرآن الكريم: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ}. سورة يونس: 32.

سابعا: معرفة دائرة الحوار

من الأصول والضوابط القرآنية للحوار أن لا يكون موضوع الحوار قضايا ثابتة في الدين بهدف إعادة النظر فيها. فالحوار ليس من قبيل الترف الفكري وحب الاستطلاع حتى يخوض المتحاورون في كل شيء، فثمة قضايا ومسائل لا يجوز الخوض فيها بحوار أو جدال إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها، أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية من ورائها، أو لأنها محسومة أساساً بنص شرعي أو إجماع. وهذا الأصل مبني على آيات مثل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} سورة الأحزاب, الآية 36.

ومن القضايا التي ليس محل الحوار والجدال البحث في ذات الله تعالى، فهذا منهي عنه شرعاً لأن ذلك من باب القول في شيء بلا علم، والعلم شرط أساس من شروط الحوار. قال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} سورة الإسراء, الآية 36.

ومن الأمور التي لا تدخل في دائرة الحوار مع الآخر غير المسلم المسائل التي حكم الله تعالى ورسوله فيها بنص محكم جلي أو أجمع عليها علماء الإسلام، وبالجملة كل ما يحرم الحديث فيه شرعاً لا يجوز الحوار والجدال مع الآخر غير المسلم في شأنه، ومن هنا جميع الأحكام والثوابت الدينية تخرج عن دائرة الحوار لأجل إعادة النظر فيها أو تقويمها أو تغييرها[1].

وبناء على هذا الأصل لا يمكن للمحاور المسلم أن يحاور الآخر غير المسلم في مسائل مثل الإيمان بربوبية الله تعالى، والعبودية له جلّ وعلا، وكونه تعالى متصفا بجميع صفات الكمال، وتنزيهه عن جميع صفات النقص, وكذلك نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وكون القرآن وحيا منزلاً من عند الله – عز وجل –، ووجوب الحكم بما أنزل الله، وحرمة الربا والخمر والزنا، وحجاب المرأة، وإقامة الحدود الشرعية فكل هذه القضايا ثابتة ومقطوع بها في الإسلام، لذلك لا يجوز أن تكون محل الحوار والجدال بهدف إعادة النظر أو التعديل فيها, قال تعالى: {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ} سورة آل عمران, الآية 60.. فعلى سبيل المثال الحكم بما أنزل الله منصوص عليها بآيات كقوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} سورة النساء, الآية 65.

وعندما نقول أن القضايا المقطوعة في الدين ليست محلاً للحوار والجدال نعني إثارتها على موائد الحوار سواء كان في وسائل الإعلام أو غيرها بقصد إثباتها وصلاحيتها وإعادة النظر فيها وتقويمها وتغييرها فهذا هو المنهي عنه. أما إذا كان القصد النظر في حكمها وأسرارها وبيان ذلك للناس وليس في صلاحيتها وملائمتها فهذا لا حرج فيه[2].

---

[1] التركستاني، أحمد سيف الدين, الحوار مع أصحاب الأديان- مشروعيته وشروطه وآدابه, ص 38.

[2] حميد، صالح, أصول الحوار وآدابه في الإسلام, ص8.

وهنا مسألة مهمة تجب الإشارة إليها وهي أن كثيراً من القضايا المحسومة في الدين مثل قضايا الحجاب، وتعدد الزوجات, والجهاد، وتحريم الزنا والخمر والربا، وغيرها هي مسائل منبثقة من قضايا أصولية يجب الاتفاق عليها قبل الدخول في الأمور المتفرعة عنها لأن مناقشة الفرع مع كون الأصل غير متفق عليه تعتبر نوعاً من الجدل العقيم في كثير من الحالات.

وعلى سبيل المثال: فلو كان الآخر غير المسلم لا يؤمن مثلاً بيوم القيامة والحساب أو عنده أساساً غبش وشك في وجود الله تعالى وصفاته، وبدأ يحاور في قضية تحريم الخمر أو الربا أو حجاب المرأة المسلمة أو في تعدد الزوجات والجهاد – وهي كلها من القضايا المثارة اليوم في ميادين الهجوم الفكري وموائد الحوار – لا يمكن الوصول معه إلى نتيجة و لابد من الحديث معه في أصل دين الإسلام لأنه لو اقتنع بالأصل لا يبقى مجال للنقاش في كثير من الجزئيات المنبثقة عنه.

وبناء على هذا الأصل يجب على المحاور المسلم أن يكون على وعي ودراية بما يجوز فيه الحوار مع الآخر وما لا يجوز حتى لا تكون ثوابت الإسلام وقطعياته محلاً للأخذ والرد وعرضة للتنازلات والمساومات.

ثامنا: العزة الإيمانية والجهر بالحق والثبات عليه:

الشعور بعزة المؤمن والجهر بالحق والثبات عليه أصل قرآني آخر من الأصول التي يجب أن يستند عليها الحوار. والأصل في هذا قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} سورة المنافقون, الآية 8.، وقوله تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} سورة آل عمران, الآية 139. فالمؤمن يخوض الحوار مع الآخر من منطلق الشعور بعزة الإيمان وقوة الحق الذي يؤمن به ويتمسك به، ولاشك أن هذا الشعور يزيده طمأنينة وثقة بالنفس أثناء الحوار ويمنعه من الوقوع في فخ المجاملات الزائفة وتقديم التنازلات المهينة.

والمحاور المسلم يستمد قوته من قوة الإسلام، والعزة الإيمانية ليس معناها العناد والاستكبار على الحق وإنما هو خضوع لله تعالى وخشيته، لأن الشعور بعزة المؤمن يجعل الطرف المسلم في الحوار يجهر بالحق ويصدع به دون تردد. ويكون واضحاً في بيان الحقائق وهو ينطلق في كل ذلك من نصوص القرآن الكريم مثل قوله تعالى: {أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ} سورة يونس, الآية 35. وقوله: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ} سورة يونس, الآية 32..

وفي الجهر بالحق يتأسى المحاور المسلم بالرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما أمره الله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} سورة الحجر, الآية 94. وقوله: {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} سورة آل عمران, الآية 187. ووجوب الجهر بالحق دون لبس وغموض وغبش يصحبه استشعار خطورة كتمان حقائق الدين فقد حذر الله تعالى الذين يكتمون حقائق الدين بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} سورة البقرة, الآية 159.، كما حذر عز من قائل أهل الكتاب من تزوير الحق قائلاً: {لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} سورة آل عمران, الآية 71.

وإذا كان من أهم أهداف الحوار مع الآخر توضيح الحقائق وبيانها فإن المداهنة والمجاملة الزائفة المبنية على تلفيق المواقف والأفكار وتغطية الحقائق وتزويرها يتناقض مع غاية الحوار وغرضه لأن كتمان الحقائق وقلبها أو التعامل الانتقائي مع المعلومات حسب الهوى لا يخدم في بناء الأرضية الصلبة للحوار والتدرج في مراحله بأي حال من الأحوال.

تاسعا لكي: البدء بالأهم والتدرج

يكون الحوار جدياً ومنتجاً ينبغي أن يبدأ المتحاورون من أهم الموضوعات ثم التدرج في الحوار على هذا النسق. ولاشك أن اتباع هذا الأسلوب سيجنب المتحاورين ضياع الوقت والجهد كما يساعدهم على معالجة القضايا الكلية التي تتحكم في الفرعيات والتفاصيل الجزئية.

ويمكن استنباط هذا الأصل من حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم فقد بدأ الأنبياء عليهم السلام حوارهم من أهم قضية وهي توحيد الألوهية ودعوة الناس إلى عبادة الله تعالى لأنها هي الأساس لكل ما يأتي بعدها. وقد تكررت هذه الدعوة على لسان أكثر من نبي: {اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} سورة الأعراف, الآيات 65, 73, 85, 95. فقد بدأ بها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام.

كما أن إبراهيم عليه السلام قد اتبع أسلوب التدرج والتنزل مع الخصم في حواره مع قومه لإقناعهم بالإيمان بتوحيد الله تعالى ونبذ الشرك. قال تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا} سورة الأنعام, الآية 76.، وهذا على وجه التنزل مع الخصم والذي تقتضيه التدرج في الحوار ومعناه ربي بزعمكم. {فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} سورة الأنعام, الآية 76. فقام بإبطال عبادة الكواكب، ثم تدرج على الأسلوب نفسه في إبطال عبادة القمر والشمس حتى انتهى إلى بيان الحق في وجوب عبادة الله تعالى ونبذ الشرك به كلياً.

عاشرا: الكلام المبني على الحجة والبرهان:

من أهم أصول الحوار وضوابطه تحري الحجة والبرهان في الكلام، ولا قيمة لحديث أو كلام يعوزه الدليل والبرهان. ولكي يكون الحوار منتجا ومفيدا لابد لطرفي الحوار أو أطرافه من بناء أفكارهم وآرائهم على الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة، كما لابد من صحة الدليل ودقة النقل، فقد قيل:" إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل". وعناية القرآن الكريم بالدليل والبرهان و جعله معيارا للقبول والرد في كل شيء سواء في الأفكار والمعتقدات، أو الأحكام والمبادئ أمر واضح لا يحتاج إلى كثير بيان واستدلال.

ومن خلال نظرة سريعة إلى الآيات المباركة التي تشتمل على كلمات " البرهان" و"السلطان" و"الحجة " نجد أن القرآن يدعو دائما إلى إقامة الدليل والبرهان كأساس لقبول الأمور وردها:

قال تعالى آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم بمطالبة الكفار بالدليل: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} سورة البقرة:111

وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم سورة النمل :64

وقال تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي} سورة الأنبياء:24

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسير الآية الأولى: "دلت الآية على أن المدعي سواء ادعى نفيا أو إثباتا فلا بد له من الدليل والبرهان" ونقل البقاعي قول الحرالي في تفسير الآية قائلا: (وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين ودليل على أن كل قول لا برهان عليه باطل.)[1]

ومن يتدبر القرآن يجد بكل وضوح أن كلمات "البرهان" و " السلطان" و" الحجة" قد وردت في مواضع كثيرة منه وتتعلق كثير من هذه الآيات المباركة بحوار النبي – صلى الله عليه وسلم– مع الكفار ومطالبته عليه السلام إياهم بأمر من الله تعالى بتقديم الأدلة والبراهين لإثبات عقائدهم وتبرير مواقفهم من القضايا المثارة للخلاف.

ويحذر القرآن الكريم المشركين من ارتكابهم الشرك بلا دليل وبرهان فيقول: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} سورة المؤمنون: 117

وفي موقف آخر يطالب القرآن المشركين بالبرهان عندما يعبدون مع الله آلهة أخرى:

{أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} سورة النمل 64:

وفي موقف مشابه آخر ينكر القرآن في صيغة التعجب والإنكار اختلال الموازين لدى المشركين حول قضايا الإيمان بالله والملائكة فيقول: {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ} سورة الصافات:154–156. ويمنع القرآن الكريم من الخوض والجدال في آيات الله بغير علم فيقول: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} سورة غافر: 35 ويقول أيضا: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} سورة غافر : 56

ويذكر القرآن تفاهة العقائد والآراء التي لا تستند على دليل ولا برهان فيقول في معرض الرد على المشركين: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ} سورة النجم:23

ومما ينبغي الالتفات إليه في هذا الصدد أن عددا من الآيات المتعلقة بالحوار في القرآن الكريم يبدأ بفعل الأمر "قل" ومن خلال تدبر مضامين هذه الآيات الكريمة يتضح أن الله – جلّ و علا– يأمر نبيه –عليه الصلاة والسلام–و أمته بإقامة الدليل ويعلمهم طرق ذلك أثناء الحوار مع الآخرين[2]

ولن يكون دليل وبرهان إلا بالعلم بموضوع الحوار وأبعاده ولذلك كان العلم أصلا وضابطا آخر للحوار في القران الكريم.

---

[1] البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر, نظم الدرر في تناسب الآيات والسور , طبعة دار الكتاب الإسلامي, القاهرة , 1992م, 113/2

[2] ورد فعل أمر "قل"(343) مرة في القرآن وفي كثير من المواضع هو متصل بالحوار.

المبحث الثالث: أسلوب الحوار في القرآن الكريم

أسلوب الحوار والجدال وعرض الآراء والمناقشة في القرآن الكريم يتسم باتساع دائرته وتعدد قضاياه، وشموله لما لا يحصى من الموضوعات. فهناك محاورات بين الخالق عظمت قدرته وبين مخلوقاته من الرسل الكرام ومن الملائكة المقربين، بل ومن الشيطان الرجيم. وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم، أو بين المؤمن والكافر، وأشار القرآن الكريم إلى الحوار الذي دار بين الرجلين: رجل مؤمن، ورجل كافر في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً، لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا...﴾الكهف:37 والحوار الدائر في هذا السياق بقصد تصحيح مفهوم وتصورات ومعتقدات خاطئة منشؤها إنكار البعث، والإيمانُ ببقاء القيم المادية وثباتها.

أو الحوار بين الأخيار فيما بينهم، أو بين الأشرار فيما بينهم. وهناك حوار مع أهل الكتاب، أو مع المنافقين، أو مع المقلدين لسابقيهم في الباطل والضلال، أو مع السائلين للرسول عليه الصلاة والسلام. وقال تعالى: ﴿وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾المجادلة:1 يوم أن تحاور عليه الصلاة والسلام مع المرأة الضعيفة المسكينة التي تشكو من زوجها، فسمع الله هذا الحوار. وهذا الحوار داخل في دائرة الفئة المؤمنة، وموضوع الحوار هنا مرتبط بالتشريعات والأحكام، وهذا يعني أن كل الموضوعات العقدية والتشريعية خاضعة للحوار. ونحن بحاجة إلى الحوار؛ ليفهم بعضنا بعضاً، نحاور بعضنا بعضاً، ونتحاور مع الآخرين، فنتحاور مع أبنائنا: وذكر الله سبحانه وتعالى عن لسان لقمان عليه السلام، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾لقمان:13 ونتحاور مع أهل الكتاب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ﴾آل عمران:64 وهناك حوار يدور حول إثبات وجود الله جل شأنه ووحدانيته، وحول الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب، وهناك حوار حول القرآن الكريم وإعجازه.. الخ ما ورد في القرآن الكريم من حوارات في موضوعات كثيرة[1].

من أساليب الحوار في القرآن الكريم الأسلوب الوصفي التصويري، يعرض قصصا ومشاهد حوارية واقعية. بقصد تبسيط فكرة وتقريبها للمستمع من خلال الحوار الجاري، وحمله على تبني موقف صحيح. ومثال ذلك حوار موسى عليه السلام مع فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.الشعراء:28-23

[1] رحماني، اسحق، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص.12

ومن أساليب الحوار في القرآن الكريم الأسلوب الحجاجي البرهاني: يعتمد الحجة والبرهان لدحض ادعاءات المنكرين للتوحيد والبعث بأسئلة تتوخى زعزعة تقاليدهم ومعتقداتهم الباطلة. وتهدف إلى توجيههم للنظر والتفكير في آيات الله من أجل بناء قناعات ومواقف صحيحة. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.الأنبياء:67-66

وبعد إلقاء نظرة حول ما يتعلّق بمناهج حوار القرآن، يحسن الانتقال إلى بيان محاور الحوار في القرآن الكريم، فما هي المحاور التي اشتمل عليها حوار القرآن؟ ولغزارة هذه المادة أكتفي بذكر أهم هذه المحاور وأكثرها ورودًا في القرآن الكريم، ومن أبرز هذه المحاور: [1]

أولا: حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة:

إنّ أول من بدأ الحوار في إطار القرآن الكريم هم الملائكة عليهم السلام، وبدأ هذا الحوار في اللحظة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل في الأرض خليفة، فأراد أن يخلق الإنسان لكي تناط به هذه المهمة الصعبة، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.البقرة:30-33

سؤال الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ هو تعجبهم من أن يكون خليفة الله في أرضه عاص ومفسد ومسفك للدماء، واستبعادهم من أنّ حكمة الله تقتضي ذلك15 ولا تعد همزة الاستفهام للإنكار بل يراد بها استكشاف عن الحكمة الخفية وعما يزيل الشبهة[2], ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ هو جواب لسؤالهم، أي أعلم ما في البشر من صفات الصلاح ومن صفات الفساد، وأعلم أنّ صلاحه يحصل منه المقصد من تعمير الأرض وأنّ فساده لا يأتي على المقصد بالإبطال، وأنّ في ذلك مصالح عظيمة ومظاهر لتفاوت البشر في المراتب وكان قول الله تعالى هذا إنهاءً للمحاورة وإجمالاً للحجّة على الملائكة بأن سعة علم الله تحيط بما لم يحط به علمهم.

ثانيا: حوار الله سبحانه وتعالى مع إبليس:

يعتبر هذا النموذج من أخطر النماذج الحوارية في القرآن الكريم، حيث أن هذا النموذج والذي يمثل فيه سبحانه وتعالى الحق المطلق والخير المطلق فيحاور رمز الشر المطلق والباطل المطلق؛ ألا وهو إبليس عليه لعنة الله وكأن

[1] رحماني، اسحق، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص.12

[2] الألوسي، روح المعاني، (1415هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج: 1، ص352.

الله سبحانه أراد أن يضع لنا فلسفة مهمة، تقضي إلى إمكانية الحوار، ولو كان الحوار مع أشد الأعداء وأفظعهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ اَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ اَمَرْتُكَ قَالَ اَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ اَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ فَاَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ المنظَرِينَ. قَالَ فَبِمَا اَغْوَيْتَنِي لاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ اَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لاَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ اَجْمَعِينَ﴾.الأعراف:11-18

ثالثا: حوار الله مع الملحدين

هذا الحوار جرى بين الله سبحانه وتعالى وبين الملاحدة الذين يعتقدون بأن الكون يسير بلا إله، يقول القرآن مظهرًا عقيدة هؤلاء: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.الجاثية:24-٢٥

وقد استعمل القرآن الكريم في ردّهم حجّة العناية والاختراع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.البقرة:٢٢-21

ولقد وجّه الله سبحانه وتعالى أنظارهم إلى أجزاء هذا الكون لكي يفهموا عظمة خالق الكون من خلاله. وأمّا الآيات الدالة على الاختراع والعناية فهي كثيرة. وقوله: ﴿وَالله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ الله مَا يَشَاءُ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.النور:45

رابعا: حوار الله سبحانه وتعالى مع الأنبياء

إن من أبرز محاور الحوار التي تحدّث عنها القرآن الكريم وفصل في ذكرها، إيجازا وإطنابا إجمالا وتفصيلا في العديد من سوره، هو ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم من حوار ومناقشات في مواضيع تتعلق بالعقيدة تصحيحا وترسيخا، ونشرا لها بعد ذلك، لأنّه لا يمكن إرجاع الناس إلى جادة الصواب وعبادة الله ونبذ الشرك عنه إلا بالتنبيه والإقناع الذين يقتضيان الحوار[1].

ونقصد هنا، حوار الأنبياء والرسل الذين كان الله يرسلهم لأقوامهم، سواء كان معهم كتاب سماوي، أو بعض الصحف والألواح، وأذكر بهذا الصدد نموذج حوار[2]:

1- حوار نوح عليه السلام مع ابنه

[1] يعقوبي، محمود، المنطق الفطري في القرآن الكريم (2000)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 5

[2] رحماني، اسحق، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص.15

في هذا النموذج سنعرض مرحلتين في الطريقة الحوارية، في المرحلة الأولى (بيّن المرحلة الثانية)، كان الحوار بين نوح عليه السلام مع ابنه، حيث قال الله سبحانه: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾.هود:42-45

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.هود:46-47

2- الحوار بين نوح عليه السلام وقومه

أخبرنا الله عز وجل أنه بعث نوحًا رسولا إلى قومه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.الأعراف:59

ونرى بأن حواره صيغ بصياغة واضحة بألفاظ دقيقة ومحددة الدلالات، لأن الكلمات الفضفاضة والتعابير المطاطة تلقى بالناس في متاهات لا صلة لها بالواقع.

فلما دعا سيدنا نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله كان ردّهم ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.هود:27

بعد أن سمعهم سيدنا نوح و تأمل في أدلتهم وما اشتملت عليه من شبهات، رد عليهم بأسلوب رقيق وجذاب بأدلة تُفَنِّد مزاعمهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.هود:28-30

نرى بأنّ سيدنا نوح ردّ على كل شبهة على حده، وحاول أن يرجعهم إلى الموضوع الرئيسي وهو عبادة الل[1]ه.

3- حوار سيدنا إبراهيم مع قومه

أظهر سيدنا إبراهيم عليه السلام أسمى معاني الأدب في حواره مع الآخرين، ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

[1] رحماني، اسحق، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص.16

أولا: في كلامه الموجّه إلى رب العالمين والذي يظهر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾الشعراء:80-79 أسند المرض إلى نفسه تأدبا في كلامه الموجّه إلى الله. وأسند الشفاء إلى الله، وإنما المرض والشفاء كلاهما من الله.

ثانيا: في حواره مع آزر حينما قال له: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾مريم:46 تهديد من الأب بالرجم والهجر الطويل فبم رد خليل الرحمن: ﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾مريم:47 إنه أدب الحوار، ورد نية الإساءة بالإحسان.

ثالثا: في حواره مع الملائكة مع جهله بحقيقتهم في بداية الأمر فقد ظنهم ضيوفا وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾هود:69 يبيّن أدب المعاملة وكرم الضيافة حتى مع الغرباء.

رابعا: في حواره مع أبنائه عندما وصّاهم بالتمسك بالدين في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ الله اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾البقرة:132 ويظهر ما في لهجته مع أبنائه من تحبب وتقرب يدلان على أدب رفيع في الحوار مع الآخرين.

خامسا: في حواره مع الكفار والنمرود الذي ادّعى الألوهية وهو واحد منهم؛ ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَالله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.البقرة:258

وبعد فليس غريبا أن يقول الله سبحانه وتعالى في سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.النحل:120

4- حوار الله سبحانه وتعالى مع العزير

نرى هنا كيفية سؤال هذا النبي عن بعض الأمور التي قد تكون غائبة أو غير حاضرة في تفكيره. سجل القرآن هذا الحوار فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ الله بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ الله مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.البقرة:259

ضوابط الحوار:

اهتم القرآن الكريم بالحوار اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار، أو الجدال كما يطلق عليه القرآن الكريم في وصفه للإنسان: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾.الكهف:54

ولأجل تحقيق الحوار مقاصده، ومنعا له من أنْ يتحوّل إلى خصومة، نؤكّد على أنّ للحوار أصولا متبعة، وللحديث قواعد ينبغي مراعاتها، وعلى من يريد المشاركة في أي حوار أن يكون على دراية تامّة بأصول الحوار المتبعة، وآدابه، لأنّ الحوار غذاء عقول يقبل الناس عليه إقبالهم على غذاء البطون، لذا يغرم بعض المحاورين بشدّ انتباه من حوله وذلك بإثارة فضولهم، كأن يستهلّ حديثه بقصة غريبة أو مثل قديم، أو سرد مقولة لأحد العظماء، فذلك مما يعجب الناس ويجعلهم ينصتون أكثر، لتوقعهم المزيد عنده. ويحسن بعضهم حينما يبدأ حواره باستفهامات متتالية، يستطيع أن يجعل منها عناصر لحديثه، وطريقة لاستدراج صاحبه للتفكير معه. ولذلك فإن المحاور الذكي هو الذي يختبر اهتمام صاحبه بحديثه قبل التوغل في حوار معه ويحاول استثارة اهتمامه بموضوع الحوار، فإن وجد منه أذنًا صاغية واصل الحوار، وإلا كفّ عنه، إلا أن يكون واجبًا شرعيًا لابد من إبلاغه به. والمحاور البارع هو الذي يجعل كلماته صُوَرًا تتدفق أمام ناظري صاحبه ومن حوله، مبتعدًا عن الرمزية والغموض، باحثًا عن الكلمات والعبارات التي تسمع وترى في آن واحد[1].

والمحاور الناجح هو الذي يمتلك فنيات الحوار ويقصد بفنيات الحوار: مجموعة المهارات المتكاملة التي يتطلبها أداء المحاور للأنشطة التي يتضمنها الحوار بكفاءة، وتنقسم هذه الأنشطة إلى أنشطة في مرحلة الإعداد للحوار وأنشطة في مرحلة تنفيذ الحوار[2].

[1] الحبيب، طارق بن علي، كيف تحاور؟دليل علمي للحوار، (2002م)، دار البيت العتيق، ص 40

[2] اللبودي، منى إبراهيم، الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه، (2003م)، مكتبة وهبة، القاهرة.، ص49

الخاتمة:

الحوار ليس مطلوبا لذاته، كما هو الشأن في الخطاب المعاصر، وإنما المراد هو الوصول إلى نقاط ارتكاز مشتركة بين المتحاورين تؤسس لتفاهم أكبر على المستوى الحياتي والنشاط الإنساني، وقد اتّخذ القرآن الكريم أسلوبا بعيدا عن التسلط، والعنف، أو التكفير في الحوار. ونحن نحتاج أن نعود إلى القرآن الكريم؛ لنتعلم منه كيف يكون الحوار؛ ولابتعادنا عنه وهجره أصبح كل منا يتهم الآخر ومع كل حوار نقول: إن الاختلاف لا يفسد للود قضية. وهو فقط لايفسد قضية الود بل يتعداها أحيانا ليصل إلي التهديد وما بعده.

والرجوع إلى القرآن الكريم بمعني قراءته والتمعن في آياته. بحيث أنه خير قدوة لنتعلم منها الأدب الرفيع في الحوار. ويخاطب ربّ العزة الإنسان ويحثه علي التأمل واستخدام عقله؛ ليقتنع اقتناعا يقينيا لا محل فيه للظن ويتخلي عن إنكاره للحق، حيث يقول الله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾الحج:5 وفي الآية جمال في الحوار حينما يخاطب سبحانه وتعالى المنكرين، وهذا مع أنه خالق للكون وما فيه. فما بالك بالإنسان الذي يحاور أخاه الإنسان الند له.

وبعد فإن الدعوة أو الحوار تكون بالحكمة والموعظة الحسنة بدون اتهامات أو تهديد أو تكفير ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾النحل:125 ثم يكون الاحتكام لله تعالي في النهاية.

إنّ القرآن يستعرض الرأي الآخر رغم أنه باطل رغم أنه ضلال رغم أنه خطأ، رغم أنه لا يملك أي حظ من الصواب. فتجد في القرآن كلام الملحدين الذين ينكرون وجود الله، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾،الجاثية:24 وكلام اليهود ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ﴾المائده:64 وكلام النصارى ﴿قَالُوا إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾،المائدة:73 وكلام المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ الله قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ الله أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.يس:47

ويستحضر القرآن الكريم الرأي المقابل رغم فساده، دون أن يبتر كلامه ويشوهه ويقطعه. فالقرآن الكريم يستحضر الآخر استحضاراً كاملاً يعطيه الفرصة الكاملة لكي يتم جملة مفيدة لكي يتم نصاً كاملاً ليتم فكرةً واضحةً بكل قوتها.

فعندما نقرأ في القرآن وينتقل الكلام من كلام الله بأسلوبه العالي الرفيع لا يحكي عن الآخر بلغة ركيكة وأداء رديء وبيان ضعيف، بل يجعل أداء الجمال البياني على الجميع فتجد تعبير القرآن الكريم عن الدهريين ويقول: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾.الجاثية:24

والأمر مسلم به أنّ القوة الذاتية في الحق حيث دار والضعف الذاتي في الباطل حيث صار ولهذا لا خوف من الحوار ولا إظهار كلام الخصم، بل في ذاته أكثر دفعا لإظهار الحق. فالحق قوي بما يأتي به من أدلة وما يعرضه من أفكار وقوي بتهافت الرأي الآخر.

النتائج:

بعد الوقوف على بعض صور الحوارات القرآنية يتضح ويستنتج ما يأتي:

اولا : الحوار القرآني مع أصحاب الملل المختلفة يدفع كل مسلم صادق في إيمانه إلى أن يسلك سبيل القرآن في الدعوة بكل الوسائل الخطابية والجدلية والبرهانية.

ثانيا: الإسلام هو دين الحوار ولكنه الحوار المتكافئ القائم على إرادة الفهم، وإرادة العلم، وإرادة التعايش بعيداً عن مختلف الإكراهات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية.

ثالثا : إن حوارات القرآن الكريم كلها دروس وعبر، ومنها مناشدة المخالفين لبيان سر مخالفتهم حتى توضح لهم الطريق الذي حادوا عنه، وأول حواره مع إبليس عن سر رفضه الامتثال لأمر ربه جل وعلا للسجود لآدم عليه السلام وفيه دعوة للحوار مع المخالفين حتى وإن كانوا غير مسلمين.

المصادر والمراجع:

– **القرآن الكريم.**

1- ابن حميد، صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، (1999م)، دار الأندلس الخضراء، جدّة.

2- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون (1969م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

3- ابن منظور، لسان العرب (1998م)، مؤسسة الرسالة – بيروت.

4- الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد، المفردات في غريب القرآن (1997م)، مكتبة نزار مصطفى الباز.

5- الألوسي، روح المعاني (1415هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- اللبودي، منى إبراهيم، الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه (2003م)، مكتبة وهبة، القاهرة.

7- الجرجاني، التعريفات (2000م)، دار الكتب العلمية، لبنان.

8- الجوهري، الصحاح (1979م)، دار العلم للملايين، بيروت.

9- الحبيب، طارق بن علي، كيف تحاور؟ دليل علمي للحوار (2002م)، دار البيت العتيق.

10- حسن، عثمان علي، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، (1420هـ)، دار إشبيليا، الرياض.

11- ديماس، محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، (1999م)، دار ابن حزم، الرياض.

12- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (1982م)، دار الرشيد، بغداد

13- الزمخشري، الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (1417هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

14- فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن: قواعده –أساليبه– معطياته (2001م)، دار الملاك، بيروت.

15- الهيتي، عبدالستار ابراهيم (2004م)، كتاب الأمة ''الحوار الذات والآخر'' دار الكتب القطرية، قطر

16- يعقوبي، محمود، المنطق الفطري في القرآن الكريم (2000)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.